

دوائر القيادة السوفياتية ترى من الضروري ان تلفت النظر» إلى ان الفلسطينيين الذين يمارسون «نضالاً شجاعاً من أجل حقوقهم القومية» قد دُفعوا إلى القتال، دافعاً. وكان ذلك أول انتقاد من سبعة انتقادات رسمية وغير رسمية وجهتها موسكو ضد التدخل السوري في لبنان^(٤١). ومن المرجح أن أساريرها انفجرت حين تحقق ذلك في قمة الرياض المصغرة في تشرين الاول (اكتوبر). وفي وسعنا القول، ان بعضاً من القلق كان ساورها بشأن موقف المتصارعين الاساسيين (سوريا والمنظمة)، اللذين ادعنا لمشيئة اصدقاء الولايات المتحدة (السعودية ومصر) في رعاية هذا الاتفاق. ويبدو أن اثر هذا العامل على الآمال السوفياتية كان كالحا بعض الشيء؛ بيد ان الامر الذي كان واضحاً لدى موسكو، هو ان التهديد الاسرائيلي - الكتائبي للوجود السوري، في لبنان، قد يدفع الاثني نحو اعتماد استراتيجية تساعد موسكو في تدعيمها، بينما تنصبّ الجهود الدبلوماسية في اتجاه انعقاد مؤتمر دولي للسلام.

كان تصريح الرئيس الاميركي، جيمي كارتر، التزامه بمؤتمر جنيف، ذا وقع مريح على آذان السوفيات، الذين ما فتئوا ينظرون، بريية، إلى مناورات كيسنجر، الرجل الذي تمكن، في الاعوام التي امضاها في مجلس الامن القومي وفي وزارة الخارجية، من تحقيق هدف ابعادهم، إلى أقصى الدرجات، منذ أن بدأت المنافسة الجادة بين الاميركيين والسوفيات في المنطقة. وهكذا، بات من الضروري، في نظر موسكو، خلال العام ١٩٧٧، التركيز على ايجاد نوع من التفاهم الضمني بين الدولتين العظميين، يقضي بأنها اذا مارست ضغوطاً على م.ت.ف. «لعقلنة» موقفها - خصوصاً لجهة تقديم بعض اللين من الاعتراف باسرائيل، أو، على الاقل، الاعتراف بالقرار ٢٤٢ - فان الولايات المتحدة سوف تسعى، من جهتها، إلى الضغط على اسرائيل للقبول بجلوس م.ت.ف. إلى المائدة ذاتها في مفاوضات جنيف^(٤٢)؛ وعلى المنظمة ان تعترف من جانبها، أيضاً، بأهمية موسكو كحليف موضوعي في صراعها مع اسرائيل، وكقوة، على حد تعبير هيكلي، «ليس لها بديل وليس لها تعويض».

وفي الشأن ذاته، ثمة اجتهادات غربية حول الموقف السوفياتي أمكن استقاؤها من البيان السوفياتي - الاميركي المشترك، الذي أُصدر في تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٧. فلقد خلص وليام كوانت إلى ان من السهل ملاحظة ان موسكو كانت تبحث عن أكثر من مجرد لعب دور في المنطقة. ففي التاسع من أيلول (سبتمبر)، قدم السفير السوفياتي في واشنطن مسودة بيان مشترك «حول التسوية في الشرق الاوسط» إلى وزير الخارجية الاميركية، سايروس فانس. والامر الجدير بالملاحظة - في نظر كوانت - هو ان المذكرة السوفياتية كانت متوازنة، فلم تتضمن الدعوة إلى قيام دولة فلسطينية، أو إلى مشاركة م.ت.ف. في المفاوضات؛ كما لم تتضمن المطالبة بانسحاب اسرائيل إلى حدود ما قبل حزيران (يونيو) ١٩٦٧، أو التخلي عن القدس الشرقية؛ وأولت نظرة احترام للحاجة إلى الامن وقيام علاقات سليمة بين دول المنطقة. وأشار كوانت إلى ان مفردات المذكرة كانت مستقاة من القرار ٢٤٢، وخاصة تلك الصيغة التي تؤكد «الحقوق الوطنية الفلسطينية»^(٤٣). وعلى الرغم من ذلك، فمن غير المفاجيء بحال، ان أجهزت على البيان، خلال أيام لاحقة، ورقة عمل دايان - كارتر^(٤٤)، من جهة، ومبادرة السادات، من جهة اخرى، وحلّ ملهما مشروع الحكم الذاتي ومسار كامب ديفيد.

وتبع ذلك تراجع في حماس موسكو؛ حيث لوحظ ان الموقف السوفياتي اتسم بالسلبية تجاه مشاريع ومخططات الولايات المتحدة «للتسوية السياسية في الشرق الاوسط»، وتجاه التنازل للبيان السوفياتي - الاميركي المشترك. ولا شك في ان تقدير موسكو كان يقضي بأن يحتل الوفاق، ومفاوضات سالت - ٢، مكانة متقدمة في أولويات السياسة الخارجية السوفياتية، وان يقل الاهتمام بتطور الاحداث في منطقة الشرق الاوسط^(٤٥). وعلى كل حال، فقد تضاعل الدور السوفياتي، ليغدو